حياة شارع

نصير الجادرجي يروي لـ(المدى) ذكرياته عن شارع طه

تبوأ رئاسة ست حكومات و١٢ وزارة

الشيخ محمود الحفيد منفياً في مجالسه يستذكر مجده

منجم لرواد الهندسة المعمارية في العراق

بحاجة الى حملة انقاذ

شارع يحلم بالأسفلت

نهرب من واقعنا باتجاه الماضي تقودنا خطى الخيبة التي نعيشها صوب ترفه الذي نحنّ اليه مرغمين بعد ان وجدنا أنفسنا قانطين بميادين الخراب.. نعم.. الخراب الذي نعيشه لا يعدله أي خراب آخر.. خراب نفوس ومدن وشوارع كانت بالامس ولادة للسحر والجمال والمعرفة، شوارع بغداد الماضي، كل له بورتريت خاص يتميز به عن أمثاله من الشوارع.

□ بغداد / يوسف المحمداوي
□ تصوير / ادهم يوسف

وجهتنا اليوم شارع متخم بالرموز والشخصيات التي لها بصماتها في تاريخ العراق واقل ما يوصف به بأنه شارع الساسة، شارع قد يجهل تاريخه الكثير من المواطنين لكن التاريخ دائما وابدا يلتفت اليه كدلالة من دلالاته او رواية من رواياته.

انه شارع طه، وهو الاسم الشائع بين الاوساط ولا أظن ان هناك من يسميه شارع الخنساء كما هو مثبت رسميا.

مجلة نجيب باشا

يقع الشارع في منطقة الاعظمية محلة نجيب باشا، وسميت بهذا الاسم نسبة للوالي العثماني نجيب باشا الذي سكنها اثناء تولي حكم بغداد عام ١٨٤٢ – ١٨٤٩ والذي تصف الروايات التأريخية فترة حكمه بالقوة والبطش والصرامة، ولعل ما حدث في ما يسمى مذبحة كربلاء عام ١٨٤٢ يشير الى ذلك، حيث يذكر المؤرخ علي الوردي تلك الحادثة التي سببها ان كربلاء في تلك الفترة كانت تدار من قبل زعامات اجتماعية ولا تتدخل الدولة في شؤونها، لذا سيطرت عليها مجموعة من الاشقياء يطلق عليهم لقب (البرمازية) الذين اشاعوا الفساد في المدينة وهذا مادفع نجيب باشا ان يهاجمهم في ثاني ايام عيد الاضحى من عام ١٨٤٢.

ولم يسلم من بطشه سوى من لجأ الى الصحن الحسيني او بيوت بعض الشخصيات المعروفة، وسميت الواقعة بـ (غديردم).

من هو طه؟

توجهنا انا وزميلي ادهم الى شارع طه وفي مخيلتي لوحات بديعة لشارع كانت له الريادة في القرارات التي تتحكم بمقادير الدولة العراقية، لكن الواقع الذي يعيشه الشارع ذليل ومحبط يشكو الى الله غياب هيبته وسلطته، شارع ترابي، لا وجود لمجالس الساسة والمثقفين التي كان يعج بها، ولا حدائق البيوت التي كانت تملؤها الورود والثمار.

لم اشعر باني ادخل شارعا في محلة من محلات بغداد الرقي والحضارة، بل اجد قدميّ تقودني الى احدى الطرق الترابية في مدينة مهجورة وخربة، نعم هذا ما رأته عيناي في شارع طه الذي اطلق عليه الاسم نسبة الى رئيس الوزراء في العهد الملكي طه الهاشمي.

طه الهاشمي ولد عام ١٨٨٨ وتوفي في لندن عام ١٩٦١، والهاشمي تخرج من المدرسة العسكرية في استنبول عام ١٩٠٦ ثم مدرسة الاركان عام ١٩٠٩ برتبة رئيس اركان والتحق بالجيش العثماني المرابط في سوريا، كما شارك في حرب البلقان عام ١٩١٢ وفي عام ١٩١٣ التحق بجمعية العهد السرية برئاسة عزيز علي المصري ثم التحق بالجيش التركي المتواجد في اليمن عام ١٩١٣ وبقي فيها حتى ١٩١٨، ولكنه اسر من قبل الانكليز عام ١٩١٩ وتم اطلاق سراحه ليجد نفسه في دمشق، ليعين من قبل الملك فيصل بن الحسين مديرا للأمن عام ١٩٢٠، وبعد معركة ميسلون ذهب الى تركيا وتسلم رئاسة التأريخ ،لكنه عاد الى بغداد عام ١٩٢٠ وعين من قبل الملك فيصل آمراً لمنطقة الموصل ثم رئيسا لاركان الجيش عام ١٩٣٢، وبقي يتدرج في المناصب حتى انقلاب بكر صدقي الذي منعه من العودة من لندن الى العراق ،ولكنه عاد بعد اغتياله وانتخب نائبا عن بغداد، ثم وزيرا للدفاع عام ١٩٣٨ وتولى منصب رئيس الوزراء لمدة شهرين عام ١٩٤١، بعدها اختير رئيسا للوزراء من قبل الوصي عبد الاله بعد اقصاء حكومة الكيلاني، انتهت ولايته مع هروب عبد الاله خوفا من الاغتيال، شارك في تأسيس الجبهة الشعبية المتحدة ثم رئيسا لها عام ١٩٥١، ثم رئيس مجلس الاعمار عام ١٩٥٣ حتى عام ١٩٥٨ توفي في لندن عام ١٩٦١ وله العديد من المؤلفات منها التجمعات البشرية في العراق، وجغرافية العراق البشرية، التعبئة الاساسية واطلس العراق، وتاريخ الشرق القديم.

الجادرجي يروي للمدى

استقبلنا في داره الواقعة في الشارع بحفاوة السياسي المتواضع وكرم الفلاح لضيوفه اتخمنا ونحن نجلس بقربه بغذاء وذكريات تأريخية لا يمكن نسيانها او تجاهلها او حتى الاكتفاء منها تماما، انه ابن رجل اقل ما يقال عنه من جيل اوائل المنادين بالديمقراطية والحريات العامة انه نصير كامل الجادرجي رئيس الحزب الوطني الديمقراطي وصاحب جريدة الاهالي.

يقول الجادرجي ان شارع طه الذي ترونه خربا الان كان ولعقود من الزمن موطنا لستة رؤساء وزراء و١٢ وزيرا ومنجما ثقافيا وفكريا وفنيا، فمن هذا الشارع خرج طه الهاشمي وسمي باسمه لكونه اول من سكن فيه، وكذلك رؤساء وزراء العراق في العهد الملكي فاضل الجمالي ومصطفى العمري وحسيب الربيعي ونور الدين محمود وناجي شوكت ومن الوزراء غازي الداغستاني الذي تبوأ ايضا منصب نائب رئيس الجيش وقائد الفرقة الثانية وهو شخصية مهابة ومحترمة اعتقل في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، ومن الشارع ايضا جمال بابان نائب رئيس الوزراء في وثبة ١٩٥٢، وتحدثنا عنها بالتفصيل في تحقيقنا عن شارع الكفاح المنشور في المدى ويستذكر الجادري مشاركته في تلك الانتفاضة حيث تم اعتقاله بعد ان مزق بدلة احد رجال الشرطة وافرج عنه لعدم اعتراف الشرطي بمسؤولية عن ذلك.

ومن الشارع ايضا عبد اللطيف نوري وزير الدفاع في حكومة بكر صدقي ووزير الخارجية ناجي الاصيل ايضا في تلك الحكومة ويوسف ابراهيم وزيرا للمعارف.

تتعدد الاسماء والجرح يكبر

لا بد من ان تسرح وتهرب من حديث الجادرجي وهو يعد لك اسماء اعلام، سياسيين وثوارا ومفكرين ومعماريين، وانت تذرع بؤس ذلك الشارع بعيونك قبل خطواتك.

ومن الشخصيات التي لو رأت حال شارعها الان للعنت اليوم الذي سكنت فيه لما يحيطه من خراب عبد الله الدملوجي الذي تبوأ منصب وزير الخارجية عدة مرات وكان من الرعيل الاول الذي جايل الملك عبد العزيز سعود والملك فيصل وهو عم النائبة الحالية ميسون الدملوجي.

وكذلك عبد الهادي الجلبي وهو وزير ايضا ووالد السياسي العراقي والنائب البرلماني احمد الجلبي، وكذلك وزير الداخلية سامي فتاح وهو ضابط كبير كان مديرا للموانئ العراقية ايضا،

تلال من الخراب

المحرر مع الجادرجي

وسكن الشارع ايضا عبد الامير علاوي وزير الصحة وهو عم الدكتور اياد علاوي، وكذلك مدير الشرطة ابراهيم الشاوي والد الوزير منذر الشاوي في حقبة صدام واركان العبادي وزير العمل ووالد نصير العبادي معاون اركان الجيش الحالي، وكذلك من الشارع الدكتور طلعت الشيباني وزير التخطيط في حقبة عبد الكريم قاسم والوزير عبد الجبار الجلبي وهو ايضا من اقرباء الدكتور احمد الجلبي.

شارع "المهندسون المعماريون"

ومن الشارع الطبيب شريف عسيران وهو من اصول لبنانية وابنته النائبة السابقة المرحومة عايدة عسيران، وعبد الرزاق منير النائب في المجلس النيابي وهو والد المهندس المعماري المعروف هشام منير ومن اعماله العمرانية وزارة التجارة وقد سجن من قبل صدام تنكيلا بالكثير من العوائل التكريتية، وكذلك المهندس المعماري قحطان عوني مهندس الجامعة المستنصرية.

وكذلك من الشارع المهندس المعماري احمد مختار ابراهيم الذي بنى نادي الاعظمية واصبح مديرا للاشغال العامة، وشريف يوسف المهندس المعماري هو من الجيل القديم الرائع وكان عميدا لكلية الهندسة، وكذلك المهندس المعماري قحطان المدفعي وشقيقه هشام المدفعي واخوهما المطرب الهام المدفعي، وكذلك شقيقي المهندس المعماري رفعة الجادرجي.

والجادرجي يسرد لنا تلك الاسماء وكيف كانت تشغل المناصب المهمة في بناء البلد، لا بد ان اتذكر المناصب التي تعطي الان وفق مبدأ المحاصصة بعيدا عن الكفاءة والتميز، فتجد اصحاب الشهادات المزورة ينعمون بمشاريع الاعمار الوهمية، وحتى التي انجزت تجدها متروكة لأخطاء هندسية كما هو الحاصل في بوابة بغداد الكائنة في المدائن والذي ترك العمل بها بعد صرف ثمانية مليار دولار، ولا عجب ان يصبح وزير الدفاع الاسبق وزيرا لثقافتنا بعد ان تبوأها ضابط شرطة وامام جامع، ولا غرابة والجادرجي يحدثني عن ترف الماضي ان اغني على الاقل في داخلي واقول، "والله لكسر المجرشة والعن ابو راعيها، هم هاي دنيا وتنكظي وحساب اكو تاليها"، نعم ياملة عبود الكرخي، واحساب اكو تاليها، او كما يقول الشاعر المرحوم عبد الحسين الحلفي،" قيامه ياوطن عندك بكل يوم، اذن كلش سهل يوم القيامة"!!؟.

حكاية اعتقال الخالصي الكبير

وكذلك من الشارع مدير شرطة بغداد عبد الرزاق الفضيلي الذي قام باعتقال الخالصي الكبير ابو مهدي الخالصي، وذلك في حقبة حكومة عبد المحسن السعدون عندما صرح حينها قائلا "اعطينا البيعة للملك فيصل لكي يكون الحكم ملكيا دستوريا والملك تخلى عن الدستور لذا نحن في حل من تلك البيعة".

وما اكثر القائلين اليوم انتخبنا من اجل ان يكون الحكم برلمانيا ديمقراطيا، وليس برلمانيا دكتاتوريا كما يحدث في سلوكيات وتصرفات حكومة المالكي.

ومن الشارع ايضا الصحفي عادل عوني صاحب جريدة الحوادث المسائية والتي صدرت في ثلاثينيات القرن الماضي وتوقفت مع بداية ثورة تموز ١٩٥٨، ومن العوائل القديمة في الشارع عائلة فتحي صفوة وهو والد نجدة فتحي صفوة الكاتب والمؤرخ المعروف.

وكذلك الشاعر بلند الحيدري، وكذلك اياد سعيد ثابت الذي كان قائدا للمجموعة التي قامت بضرب الزعيم عبد الكريم قاسم في شارع الرشيد وقد حكم عليه بالمؤبد ثم افرج عنه، ومن العوائل التي سكنت الشارع معاون رئيس اركان الجيش حسيب الربيعي وهو شقيق نجيب الربيعي، وكذلك رفعت الحاج سري، وهو خال جميل المدفعي، ومن الخطأ كما يقول الجادرجي ان يطلق على الشارع الذي يحاذي شارع طه بشارع رفعت لأن عائلة المرحوم رفعت الحاج سري دارها تطل على شارع طه والشارع الاخر.

"اشتعل سوسة طفه سوسة"

وسكن الشارع الدكتور احمد سوسة وكان والده من الاثرياء وهو اصلا يهودي اعتنق الاسلام من محافظة الحلة وكان يزود اهل الحلة بالكهرباء ومن الطرائف التي كانت شائعة انذاك كما يرويها الجادرجي ان الكهرباء عندما كانت تأتي لاهل الحلة فهم يقولون (اشتعل سوسة) وعندما تنطفأ (طفه سوسة).

ولا ادري الان وبعد تسع عجاف حبلى بالازمات واولها الكهرباء هل يحق لنا ان نقول حين تأتينا كهرباء العوز والقحط (اشتعل المالكي) وحين تذهب نقول (طفه المالكي)، بالتأكيد لا يحق لنا ذلك وهراوات السلطة وعصي تلاميذ "لازم عصا" عفوا قاسم عطا بالمرصاد لكل من تسول نفسه التجاوز على رموزنا العظام.. العظام!، ومن سكنة الشارع ايضا المقاول الكردي رشيد عارف، الشاعر والاديب اللغوي بهجت الاثري، وكذلك معاون رئيس اركان الجيش ومدير عام السكك الحديد الضابط اسماعيل صفوت الذي كان له دور مميز في حرب فلسطين عام ٤٨.

وكذلك عائلة د. صالح البصام الذي التجأ اليه نوري السعيد اثناء ثورة ٥٨ وقاما هو وشقيقه بأيصاله الى بيت محمود الاسترابادي في مدينة الكاظمية.

الشيخ محمود الحفيد

سكن الشارع الشيخ محمود الحفيد وهو الزعيم الروحي للكرد وكانت زعامته لهم دينية وعشائرية، وكانت العمليات المسلحة التي قادها الشيخ محمود البرزنجي في محافظة السليمانية عام ١٩١٩ والتي استمرت حتى عام ١٩٣١ محطة مهمة من تاريخ العمل العسكري الكردي، نفي الى الهند من قبل الانكليز بعد تمرده عليهم والقيام بعمليات عسكرية ارعبتهم لكن زحف القوات التركية على المناطق الشمالية اقلق الانكليز فاستعانوا بعدوهم اللدود الشيخ محمود الحفيد لوقف زحف الاتراك بعد ان الغوا اوامر النفي للهند واصبح حاكما فعليا للسليمانية ثم زحف على كركوك ليضمها لحكومته، وذلك عام ١٩٢٢، ولم يكن هدف الانكليز وقف المد التركي فقط، ولكنها ارادت استخدامه كورقة ضغط على حكومة الملك فيصل لكي توقع على المعاهدة العراقية البريطانية الاولى وتحقق لها ذلك في عام ١٩٢٢، وفي نفس العام اعلن محمود الحفيد نفسه ملكا على كردستان ،وبعد الحملة العسكرية للحكومة المركزية في بغداد استطاعت استعادة محافظة السليمانية عام ١٩٢٤ ليلجأ الحفيد الى العمل المسلح واستمر حتى عام ١٩٢٦ الى ان عقد اتفاقا مع الحكومة بمغادرة العراق الى ايران هو واسرته مقابل رد الاملاك التي صودرت منه، بقي في ايران حتى عام ١٩٣٠ ثم عاد اثر اشتباكات الانتخابات التي رفضها الكرد ووقع اثر ذلك العديد من الشهداء، وقاد العمل المسلح هناك حتى عام ١٩٣١ واستطاعت الحكومة اخماد الثورة في ذلك العام وفرضت عليه الاقامة الجبرية في المناطق الجنوبية حتى نشوب ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١ وقد قضى تلك السنوات مابين الناصرية والسماوة وعانة وبغداد الى ان غادرها ليقضي سنوات عمره الاخيرة في محافظة السليمانية.

وفي ١١ آيار ١٩٤١ هرب من بغداد الى كردستان وعاد مهددا بالعمل العسكري مطالبا بالحكم الذاتي ولم يلق سلاحه حتى وافقت الحكومة العراقية على بقائه في كردستان، وفي عام ١٩٥٦ مرض الشيخ وعاد الى بغداد من اجل العلاج وتوفي فيها ليلة الثلاثاء من تشرين الاول عام ١٩٥٦م في مستشفى الحيدري عن عمر ناهز السادسة والسبعين ونقل جثمانه الى السليمانية ليشيعه كردستان بموكب مهيب ليدفن بمسقط رأسه.

اساطير تروى عن الشيخ

يقول نصير الجادرجي ان الشيخ كان يتردد الى بيتنا لكونه يحضر المجلس الذي يقيمه والدي كامل الجادرجي، وفي يوم من الايام سأله والدي عن الاسطورة التي تقول بأن الرصاص لا يصيبه، فأجابه مبتسما انا اكثر من مرة جرحت ولكن انا تعودت عليه، ومثلما يطربني ناي الراعي، فأكثر منه يطربني ازيز الرصاص، لذا في كل معركة تجدني بارد الاعصاب هادئا اكثر من هدوئي وانا اجلس معك الان، ويضيف الجادرجي اثناء تواجد الشيخ في منفاه ببغداد طلب منه الوصي عبد الاله مرافقته لزيارة السليمانية، فوافق الشيخ على ان يكون في سيارة مستقلة وبالفعل ذهب الى هناك وما ان دخلت السيارتان محافظة السليمانية حتى اتجهت حشود المواطنين باتجاه سيارة الشيخ محمود غير آبهة لسيارة الوصي لترفع سيارة الشيخ من الارض وهي تطلق الزغاريد والرقصات بمناسبة وصوله.

يضيف الجادرجي ان الشيخ كان يتقن فضلا عن الكردية العربية والفارسية والتركية وهناك روايات تقول بأن اصوله تعود للعلويين ولكن اضطهاد العباسيين لهم جعل من عائلته انذاك تنتقل الى هناك.

واثناء وفاته رحمه الله طلب ابنه الشيخ لطيف الذي كان حينها مسجونا في ايام حكومة سعيد قزاز ان يشارك في تشييع والده، وكتب اهالي السليمانية تعهدات للحكومة من اجل اطلاق سراحه ولكن الحكومة رفضت ذلك، فحدثت انتفاضة في نهاية العام ١٩٥٦ واستشهد فيها الكثير من اهالي السليمانية.

ومع رحيل البطل محمود الحفيد نرحل اليوم لنعاود الذكريات في حلقة اخرى مع السياسي نصير الجادرجي.

> سكن الشارع الشيخ محمود الحفيد وهو الزعيم الروحي للكرد وكانت زعامته لهم دينية وعشائرية

> لا بد من ان تسرح وتهرب من حديث الجادرجي وهو يعد لك اسماء اعلام، سياسيين وثوارا ومفكرين ومعماريين، وانت تذرع بؤس ذلك الشارع بعيونك قبل خطواتك.